

كلمة الدكتور جوزف جيرا رئيس الجامعة اللبنانية الأميركية

في احتفال الذكرى الأولى لغياب الشاعر جودت حيدر

كان ذلك قبل سنة تماماً من اليوم، وبعلمكُ تودّع شيخاً من أركانها المباركين، بلغ المئة وكان لا يزال في زخم العطاء، وينتظر الخير السعيد بفوزه في المسابقة العالمية للشعر الإنكليزي، بعدما بلغ التصفية النهائية بين عشرة شعراء من ألمانيا وإنكلترا وأستراليا والولايات المتحدة وجنوبي أفريقيا.

غير أنّ القدر الذي لا يرحم، لم يرحم شاعرنا الكبير كي يتوّج سنواته المئة بتلك الجائزة العالمية، ولم يرحم وطنه كي يسجّله شعاعاً عالمياً جديداً من لبنان يتوّج أشعة أبنائه المبدعين في أربع زوايا العالم. لكنّ تلك السنوات المئة، كانت حافلة بالحضور القويّ، على صورة القلعة التاريخية المهيبّة التي قبالة بيته في بعلبك، تُحاكي الدهر المهيب. فلإثره التربوي مديراً للكلية الوطنية في عاليه، وكلية النجاح الوطنية في نابلس، وإلى أثره الإداري مسؤولاً كبيراً طوال سنوات مديدة في شركة النفط العراقي ثم المدير العام للشرق الأوسط في شركة تجارية كبرى من بيروت، يبقى أثره الشعري الأكبر والأقوى والأبقى طالعاً من قصائده بالإنكليزية والعربية، ضمّنها مجموعاته الشعرية التي كانت لها أصدأؤها البعيدة فكتبت جريدة "نيويورك تايمز" (New York Times) أنّ "جودت حيدر إرث ثقافيّ من لبنان، يتقاطع مع الإرث الثقافيّ الأميركي، في شعرٍ غيرٍ عاديّ يظهر في مجموعته "أصوات"...". وكتبت جريدة "ذو كريست" (The Crescent) في إنكلترا أنّ "جودت حيدر شخصيةٌ مُميّزة بكونه عالماً وشاعراً معاً". أما شعره بالعربية، وهو متفرّد ونسيج لا يشبه سواه، فلّه نكهةٌ خاصةٌ قال عنها الشاعر اللبناني طلال حيدر: "يبدع جودت حيدر في شعره أحلاماً لم تُخطر على بال النوم. شعره تنبؤي يقرأ الآتي قبل أن يأتي، ولا يقرأ المستقبل كالعرّافين، إنّما يصنعه كالنبوءة".

ولا يختلف شعره بالإنكليزية رقةً وطلاوةً وسلاسةً عن شعره بالعربية، وهو تعمّد أن يكون كلاسيكياً بالإنكليزية، على صعوبة ذلك: قافيةً وتقطيعاً، غير أنّه يقفُ فيه كبيراً مع كبار الشعراء الأميركيين، كقوله مثلاً بمناسبة مرور مئة سنة على ولادة الشاعر الأميركي الكبير روبرت فروست:

Frost, I freeze with the mention of your name,
Yet with the sunshine glittering from your ink;
I warm up and revert to my selfsame
To write of you in verse truly what I think.
I gazed at the moon slanting far away
With the shuttling beams, warping threads of the gleam,
Weaving the years he lived a tongue, to say,
Here lies Robert Frost, the everlasting dream.

وبهذه السلاسة نفسها ينزفُ رقةً وهو يبكي رفيقةً العمر "مليحة" التي فقدتها سنة ١٩٨٢ فقال فيها:

أنتِ العطرَةُ التي نَمَت، وفي ربيعها هَوّت، وفي عطرها انطَوّت

كان عيشنا كالشمس طراوةً عند الغروب، وبعد الغروب صفاءً الليالي والسهير

كان عندليبُ الغاب يُنشدُ ألحان الطيب، حتّى يغيب القمر ويطلُّ من المغيب.

وتوالت عليه نكبات الدهر ففقدَ شقيقه الزعيم البعلبكي محمد رستم حيدر، وفقدَ زوجته "مليحة"،
ووحيدَه "بسّام" الذي قال بلسانه في وداعه:

Dad take care of Mom, Jawdat and Janine
Love them as always I've loved them before
Sorry my Journey so early had been
To be with my dear mother for ever more.

ويلفت لدى شاعرنا الكبير اهتمامه بالشعر وصداقته مع كبار الشعراء، من فوزي معلوف إلى معروف الرُصايني، وسواهما ممن كانوا يقدرونه كثيراً، ويحترمون شعره، حتّى قال فيه الشاعر العربيّ الكبير عمر أبو ريشة: "قصائدُ جودت حيدر ذخيرةُ عطاءٍ إبداعيٍّ نادر". ورغم عالميته وشهرته في ديار الشعر الأميركي والإنكليزي، ظلّ قلبه في بعلبك والبقاع فأسس سنة ١٩٩٥ "واحة الأدب في البقاع" جاعلاً في رأس أهدافها: رعاية شؤون الأدباء والشعراء في البقاع، وظلّ يربحها فاتحاً لها صدره وباحة منزله العريق في بعلبك، جامعاً فيها كبار الأدباء والشعراء، معتزاً بأنّ من مآثرها إعادة تمثال شاعر القطرين خليل مطران إلى مكانه على مدخل القلعة. واحتفل بذلك في دارته: مهرجاناً شعرياً وأديبياً كبيراً شهدَ على منيره كبار الشعراء من لبنان والدول العربية.

أُيها الأصدقاء،

نتذكّر اليوم كبيراً من عندنا، كبيراً بقامته اللبنانية، كبيراً بقامته الشعرية، وكبيراً بعالمية بلغها شاعر من لبنان، ظلّ لبنان في قلبه حتّى نبضه الأخير غالياً، غالياً هو الذي قال فيه:

That's Lebanon the heart of the world
Where the cedars living for ages unknown
And the flag of liberty always unfurled
In a democracy without a throne

وختاماً:

شكراً لـ "ديوان أهل القلم" على هذه البادرة النبيلة اليوم، وهو عودنا على تكريم الكبار،
وشكراً لرئيسة الديوان الأدبية الدكتورة سلوى الخليل الأمين، حاملة المهّم الإبداعي في لبنان وفي عالم
الانتشار اللبناني على ما تقوم به من أجل الإقامة ولبنان الانتشار.
إنّ لبنان الذي فيه من أمثال جودت حيدر، هو عنوانٌ للوطن الذي تهزُّ الرياح أشجاره، فلا تسقطُ منها
سوى الأوراق الضعيفة عن الأغصان. أما الجذوع فباقية، وأما الجذور فراسخة في الأرض والتاريخ.
وهكذا لبنان.

عاش "ديوان أهل القلم".

عاشت ذكرى جودت حيدر.

عشتم جميعاً، وعاش لبنان.